التضحية من أجل الهدف الإلهي

المكان: طهران

الحضور: مختلف شرائح الشعب

المناسبة: ذكرى ولادة الإمام الحسين (ع)

الزمان: 1392/3/22ش. 1434/8/3هـ. 2013/06/12م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أرحب بكم جميعاً أيها الإخوة والأخوات والشباب الأعزاء الذين تجشّمتم عناء السفر من مناطق بعيدة وقريبة، وجعلتم يوم عيدنا عيداً بالمعنى الحقيقي للكلمة. اجتماع محبّي أهل البيت (ع) وعشاق سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي (ع)، والقلوب المبتهجة بمناسبة ميلاده السعيد، تجعل يوم العيد عيداً حقيقياً. نتمنّى أن يكون الشعب الإيراني أكثر توفيقاً وشموخاً وبهجة يوماً بعد يوم، وفي كل الأحوال، ومع مرور الزمن إن شاء الله، ومن خلال التوسّل بالعناية الإلهية والتمسّك بمنهج أهل البيت (عليهم السلام) والمعارف الإسلامية .

يوم ولادة الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه الصلاة والسلام) يوم عظيم. وعلى حدّ تعبير الحاج الميرزا جواد التبريزي الملكي – العالم والفقيه والعارف الكبير – يجب اعتبار عظمة يوم الثالث من شعبان قبساً من عظمة الحسين بن علي.. إنه يوم عظيم. لقد ولد في هذا اليوم شخص ارتبط مصير الإسلام به وبحركته وبنهضته وبتضحياته وإخلاصه. لقد عرض هذا الإنسان الجليل حركة – لا نظير ولا شبيه لها – على تاريخ البشرية وقدّمها أمام أنظار البشرية، سوف لن تنسى أبداً. إنه نموذج وقدوة. التضحية من أجل الهدف الإلهي، وبذلك الحجم، وبتلك المقاييس العظيمة، والتضحية بمعنى تقديم الروح وتقديم أرواح الأعزة، ووقوع حرم أهل البيت في الأسر، بذلك الوضع وبتلك الفاجعة، والصبر على تلك الحادثة العسيرة من أجل بقاء الإسلام، ومن أجل تخليد مقارعة الظلم كمبدأ في تاريخ الإسلام وفي تاريخ البشرية، هذا شيء لا يمكن أن نجد له نظيراً. الكثيرون استشهدوا في سبيل الله، وفي ركاب الرسول الأعظم (ص)، وفي ركاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، وفي ركاب الأنبياء الإلهيين، لكن أيّاً من ذلك لا يمكن مقارنته بحادثة كربلاء. ثمة فرق بين الشخص الذي ينزل ساحة الحرب وسط تشجيعات أعوانه وهلاهلهم ومواكبتهم وعلى أمل الفتح والانتصار، ثم يستشهد ويسقط إلى التراب – وله بالطبع أجر جزيل كبير – وبين تلك الجماعة التي نزلت الساحة وسط عالم مظلم مُعتم، وفي حين رفض كل كبار العالم الإسلامي مواكبتهم، بل ولاموهم على خطوتهم تلك، ولم يكن لهم أمل في نصرة أحد، ومنعهم شخص مثل عبد الله بن عباس عن المسير، ومنعهم شخص مثل عبد الله بن جعفر، وامتنع الأنصار والمخلصون والمحبّون في الكوفة عن مواكبتهم، وبقي وحيداً فريداً ليس معه إلّا عدد قليل من الأنصار الخلّص وعائلته من قبيل الزوجة والأخت وأبناء الأخت وأبناء الأخ والشباب والأبن ذي الستة أشهر. هذا

حدث عجيب، ومنظر عظيم في التاريخ عرض مقابل أنظار البشرية. لقد أعدّ الإمام الحسين (عليه السلام) نفسه لمثل هذا اليوم .

طبعاً حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) على امتداد تاريخ حياته لمدة أكثر من خمسين عاماً كلها دروس وعبر، ففترة طفولته دروس، وفترة شبابه دروس، وسلوكه خلال فترة إمامة الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) دروس، وسلوكه ومواقفه بعد استشهاد أخيه الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) كلها دروس. لم يكن الأمر بحيث يقال إن ما قام به الإمام الحسين (ع) كان في اليوم الأخير فقط، بيد أن عظمة واقعة كربلاء من التألق والضخامة بحيث تهمّش جميع الأنوار الأخرى وكأنها الشمس المشرقة. وإلّا فخطبة الإمام الحسين (عليه السلام) مخاطباً العلماء والأكابر والصحابة والتابعين في منى – والمذكورة في كتب الحديث – وثيقة تاريخية. ورسالته مخاطباً العلماء والكبراء وأركان الدين وشخصياته في زمانه – «ثمّ أنتم أيتها العصابة، عصابة بالعلم مشهورة» (1) والمرويّة في كتب الحديث المعتبرة تعدّ هي الأخرى وثيقة تاريخية مهمة. وتصرفاته ومواقفه عليه السلام، وتعامله مع معاوية ورسالته لمعاوية، وتواجده إلى جانب أبيه في فترة خلافته القصيرة عليه الصلاة والسلام، هذه كلها دروس، على أن واقعة عاشوراء شيء آخر. اليوم يوم ولادته عليه السلام، ويجب استلهام الدروس في مثل هذا اليوم من الحسين بن علي. درس الحسين بن علي عليه الصلاة والسلام للأمة الإسلامية هو إنه يجب الاستعداد دوماً من أجل الحق ومن أجل العدل ومن أجل إقامة العدل ولمواجهة الظلم، ويجب تقديم كل ما يمتلكه الإنسان إلى الساحة. والتضحية بتلك المستويات وبتلك المقاييس ليس مما نقدر عليه أنا وأنتم، ولكن يمكن العمل بما يتناسب ووضعنا وأخلاقنا وعاداتنا. يجب أن نتعلم .

ولحسن الحظ فإن الشعب الإيراني تعلم اليوم هذا الدرس من الحسين بن علي (ع). منذ أكثر من ثلاثين عاماً وقاطبة الشعب الإيراني يسير في هذا الطريق، ويوجد بالتالي نوادر وشواذ هنا وهناك، لكن مسيرة قاطبة الشعب الإيراني هي في درب الحسين بن علي (ع). كان مصيره عليه السلام الشهادة، غير أن درسه ليس درس الشهادة وحسب. هذه الحركة حركة مباركة، وقد تنتهي أحياناً كما حصل للإمام الحسين بن علي (عليه السلام) بالاستشهاد، بيد أن هذه الحالة وهذه الروح مفيدة لإقامة دين الله ولكل البركات المترتبة على إقامة دين الله. نزل الشعب الإيراني إلى الساحة بهذه الروح، وهدّم بناء ظلم وطني ودولي في إيران، وشيّد مكانه صرحاً إسلامياً. ليس الأمر أن كل من سار في درب الحسين بن علي (ع) سيكون ختام أمره عدم الانتصار الظاهري والدنيوي، كلا، لقد وضعوا هذا الدرس وهذا الدرب أمام أنظار البشرية وقالوا حتى لو كنتم تريدون الدنيا والعزة فهما في هذا الدرب، ويجب السير في هذا الطريق. وقد جرّب الشعب الإيراني هذا الطريق، ويجب أن يعرف قدر هذا الطريق. لقد نزل شعب إيران إلى الساحة بروح حسينية وعاشورائية، وانتصر في ثورة عظيمة وربما أمكن القول منقطعة النظير في هذه القرون الطويلة التي نعرفها، أو هي نادرة النظير على الأقل. لقد اتخذ الشعب الإيراني هذا المنهج وتقدم إلى الأمام لحد الآن. وطبعاً ليس الأعداء على استعداد للاعتراف بوسائل إعلامهم ومكبّرات صوتهم بتقدم الشعب الإيراني، لكن الشعوب في العالم ليست عمياء، فهي ترى وتقارن، أين إيران في زمن الطاغوت من

إيران في زمن الجمهورية الإسلامية؟ أين إيران سنة 57 [1979 م] من إيران سنة 92 [2013 م] ؟ أين اليوم من البارحة من حيث العلم والسياسة والأمن والتمكّن من أحداث المنطقة والتأثير في وقائع العالم، وفي الأمل والثقة بالنفس للسير في طريق العزة والسعادة؟ الشعب الإيراني اليوم يخبّ سريعاً نحو الأمام. وسوف تستمر هذه المسيرة العارمة وتتصاعد يوماً بعد يوم. وأقولها لكم: كل القرائن تدلّ على هذا. هذا فصل من الفصول .

و إلى جانب هذا الفصل نقول أيضاً إنه بغضّ النظر عن الثالث من شعبان، فقد دخلنا في شهر شعبان، وهو شهر العبادة والتوسّل والمناجاة.. «و اسمع دعائي إذا دعوتك واسمع ندائي إذا ناديتك» (2). إنه فصل مناجاة الله تعالى، وفصل ربط هذه القلوب الطاهرة بمعدن العظمة والنور.. يجب معرفة قدر هذا. هذه المناجاة الشعبانية تحفة وضعت بين أيدينا. لدينا الكثير من الأدعية وكلها زاخرة بالمضامين الراقية، لكن لبعضها تميّز خاص. سألتُ إمامنا الخميني الجليل (رضوان الله عليه) ما هو الدعاء المأثور عن الأئمة (عليهم السلام) الذي يُعجبك وتهواه أكثر؟ فقال دعاء كميل والمناجاة الشعبانية.. هذان الدعاءان. كان الإمام الخميني كله قلب متوجّه إلى الله، ومن أهل التوسّل والتضرّع والخشوع والاتصال بالمبدأ، وكانت الوسيلة الأفضل في رأيه هو هذان الدعاءان: دعاء كميل والمناجاة الشعبانية. وحين يراجع المرء هذين الدعاءين ويدقّق فيهما يرى كما هما متشابهان، فثمة فيهما مواطن شبه كثيرة. إنهما مناجاة الإنسان الخاشع المتوكّل على الله: «كأني بنفسي واقفة بين يديك وقد أظلها حسن توكلي عليك، فقلت ما أنت أهله، وتغمّدتني بعفوك» (3). الأمل.. الأمل بمغفرة الله ورحمته وتوجّهه وعنايته، وعلوّ الهمّة في الطلب من الله.. «إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك» (4). شهر شعبان مثل هذا الشهر.. لتتزوّد القلوب الطاهرة النورانية والقلوب الشابة من هذه الفرصة وتنتفع، ولتعززوا علاقتكم بالله .

في درب العظمة والعزة التي سار فيه الشعب الإيراني، للتوجّه إلى الله والتوكل عليه والارتباط به دور كبير وأساسي. البعض غافلون عن هذا ويعوّلون على الحسابات المادية المحضة، وكأنه لا مكان أبداً في حساباتهم للمعنوية والعون الإلهي والتوكل على الله وحسن الظن بوعوده. مثل هذه الحسابات المادية موجودة لدى مستكبري العالم أيضاً، وحساباتهم المادية أفضل من حساباتكم، فلماذا يتراجعون إلى الوراء يوماً بعد يوم؟ لماذا يعانون من كل هذه المشكلات؟ لماذا يضطرون لممارسة الظلم والجور؟ لماذا يضطرون لتجييش الجيوش إلى أفغانستان والعراق وباكستان وتقتيل الناس الأبرياء؟ «وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف» (5). الضعيف هو الذي يحتاج إلى الظلم وممارسة الظلم. لأن أيديهم تألف السلاح يستخدمون هذا السلاح دون تحرّج وبكل ظلم وعدوانية وانفلات. هذا بحدّ ذاته تراجع إلى الوراء. إنه تراجع إلى الوراء في المعايير المعنوية وفي الحسابات المادية. الحضارة الغربية تنسج حول نفسها كل يوم مزيداً من المشكلات، وهذه المشكلات سوف تسقطهم وتدمّرهم. وهذا بسبب قطع الصلة بمبدأ الوجود، وفصم العلاقات بمعدن النور والعظمة.. «فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعزّ قدسك» (6). هذه أمور لازمة.. وهذه الأرضية اليوم مهيّئة ومُعدّة لشعب إيران .

و لانتقل هنا إلى قضية الانتخابات. قلنا «الملحمة السياسية»، وقد بدأت هذه الملحمة السياسية اليوم، وطبعاً سيكون يوم الجمعة ذروة هذه الملحمة السياسية. لكن يشاهد الإنسان اليوم والحمد لله أن الملحمة السياسية قد بدأت وانطلقت. لانتخابات هذا العام لون ونكهة مختلفة. تسمّرت عيون العالم كله على هذه الانتخابات. أعداء الشعب الإيراني عيونهم على هذه الانتخابات، وكذا الحال بالنسبة لأصدقاء الشعب الإيراني. يريدون أن يروا ماذا سيفعل شعب إيران. أنفق الأعداء الكثير من الأموال وبذلوا الكثير من الجهود والمساعي وسلكوا الكثير من السبل واتبعوا العديد من السياسات، وشكلوا على حد تعبير غرف عمليات من أجل أن يجدوا سبيلاً لفصل الشعب الإيراني عن النظام الإسلامي. والشعب الإيراني بمشاركته وتواجده عند صناديق الاقتراع ومساهمته في الانتخابات يثبت صلته وأواصره المتينة بالنظام الإسلامي. هذا شيء ماثل أمام أنظار الناس. بهذه الأشواق والحماس الذي يشاهد لدى الشعب الإيراني اليوم – وهو حماس وشوق مبارك والحمد لله – وبالأمل بالله والتوكل عليه وبهمّة الشعب العزيز سوف تتحقق هذه الملحمة بالمعنى الحقيقي للكلمة، وستكون استعراضاً للاقتدار من قبل شعب إيران ونظام الجمهورية الإسلامية أمام أنظار الأعداء. بذلوا كل هذه المساعي لفصل الشعب وجعله غير آبه وسيّئ الظن بالانتخابات وبالأجهزة التي تقيم الانتخابات، لكنهم أخفقوا وسيخفقون أيضاً إن شاء الله. إنها تجربة مهمة وكبيرة مقابل الشعب الإيراني. ما أصرُّ عليه هو المشاركة القصوى والعامة لشعب إيران، وذلك لأننا نرى ونعلم أن المشاركة المتلاحمة للشعب والمساهمة المتفائلة والمشوقة والمقتدرة للجماهير من شأنها بث اليأس في نفوس الأعداء. وحين يصاب العدو باليأس فسوف يفقد فاعليته وقدرته على العمل. حين تلاحظون أن العدو وفي ميادين مختلفة ومن زوايا متنوعة قد يمارس التعرّض أحياناً والعدوان أحياناً ويتقدّم أحياناً فلأن هناك من يشعلون له الضوء الأخضر ويبثون الأمل في نفسه. بعض الكلام يبث التفاؤل والأمل في نفس العدو. بعض المواقف والسلوكيات والممارسات تجعل العدو آملاً مندفعاً. وحين يكون العدو آملاً فسوف يزيد من ضغوطه. وحين يقنط العدو فسيرى بالطبع أن لا فائدة من الضغوط فيسير في درب آخر. تحصين البلد رهن بمشاركة الشعب، وتقليل ضغوط الأعداء منوط بتواجد أبناء الشعب واتحادهم وانسجامهم مع النظام وجهاز الجمهورية الإسلامية، وبالشعور بالثقة المتبادلة بين الشعب والمسؤولين. ينبغي تعزيز وتقوية هذا الشعور باستمرار .

و الحمد لله كان سياق الانتخابات إلى هذا اليوم سياقاً جيداً. من النقاط المميّزة والإيجابية التي يشاهدها المرء – عن طريق الأخبار التي تصلنا والمعلومات الواضحة المتوفرة – هي أن خطاب الشعب في هذه الانتخابات هو خطاب النزعة القانونية والالتزام بالقانون. مع أي شخص تتحدثون وتتحاورون يتحدث عن اتباع القانون والالتزام به. هذا شيء قيّم ومميّز جداً. النزعة القانونية واحترام القانون. لقد أصيب الشعب بأضرار بسبب عدم الالتزام بالقانون. عدم اتباع القانون في سنة **88** وسحقه كان في الواقع سحقاً للبلد. وهذا ما شاهده الناس. ومن المظاهر المميّزة في الوقت الحاضر أن نظرة الجماهير هي نظرة اتباع القانون والالتزام به. لحسن الحظ فإن

المسؤولين والمرشحين المحترمين على اختلافهم راعوا الجوانب القانونية إلى اليوم. وسيكون الأمر على نفس هذا المنوال في المستقبل إن شاء الله. هذه نقطة على جانب كبير من الأهمية .

النقطة المهمة الأخرى هي أن الخطوة التي قامت بها مؤسسة الإذاعة والتلفزيون – أن يحضر مرشحون مختلفون وبتوجّهات مختلفة، ثمانية أشخاص بثمانية ميول وثمانية أنواع من النظر والرؤى لقضايا البلاد المختلفة ويطرحوا تصوراتهم وآراءهم أمام أنظار الناس وأسماعهم – أخجلت الذين راحوا منذ سنين طويلة يجعرون بعدم وجود حرية تعبير عن الرأي في هذا البلد. الشيء الذي قامت به مؤسسة الإذاعة والتلفزيون وعرّفت الجماهير على أفكار المرشحين وتصوّراتهم وآرائهم ونظراتهم بشكل مباشر ووجهاً لوجه، كان في رأيي عملاً مفيداً وقيّماً جداً. البعض يجعرون دوماً ومنذ سنين: بأنهم يمنعون ولا يسمحون ولا يعطون منبراً لأحد! والآن: تفضلوا، ها هي المنابر وهذا هو الكلام، وليس لتيار أو توجّه خاص، إنما لثمانية توجّهات. كان السادة ثمانية أشخاص يومذاك وتحدثوا بثماني طرائق وأشكال حول قضايا البلاد، وقدموا تحليلات وتصوّرات متنوعة، وآراء الأشخاص محترمة. طبعاً لديّ كلام حول القضايا التي طرحها السادة، ليس الآن وقته، وسوف أذكر حقائق للشعب الإيراني بعد الانتخابات إن شاء الله إذا بقيتُ على قيد الحياة. ثمة كلام يقال حول الأمور التي طرحها السادة المحترمون، لكن الحالة عموماً كانت جيدة جداً ومُبهجة بالنسبة لنا. أعداء الجمهورية الإسلامية ومن يوجّهون لها التهم أصيبوا بالخجل، وشاهدوا كيف يأتي المرشحون ويتحدثون بكل حرية وسهولة ويهاجمون هذا ويدافعون عن ذاك، ويدينون سياسة ويكرسون تياراً وسياقاً معيناً. لقد شاركت التيارات الفكرية والسياسية في البلاد بنحو كامل في هذه المناظرات، وهذه من نقاط قوة الانتخابات في بلادنا لهذا العام. والشعب يشعر بميول ملحمية متنوعة من دون أي تعرّض. في سنة **88** أيضاً كان هناك تحمّس واندفاع وهياج ولكنه كان مصحوباً بالسباب والفضائح! في مدينة طهران هذه – وفي المدن الأخرى بصورة أقل – كان الناس يسيرون في الشوارع ويرفعون الشعارات، هذا ضد ذاك وذاك ضد هذا، ويتحدثون ضد بعضهم ويتهجّمون على بعضهم، وكان هناك أحياناً من يسيئون الأدب ويتحدثون ببذاءة، أما في هذه الانتخابات فلا، يوجد تشوّق وحماس وهياج ومشاعر من دون إساءة أدب وعدم احترام. هذا شيء قيّم جداً، ولقد تقدمنا كل هذا التقدم خلال أربعة أعوام، ونشكر الله تعالى على هذا التقدم وعلى كل هذه الحالات من التطوّر الهائل في المجالات الأخرى التي تحققت للبلاد والحمد لله خلال هذه الأعوام .

توصيتي الأولى والأهمّ هي التواجد عند صناديق الاقتراع. هذا أهمّ من كل شيء للبلاد. قد لا يريد البعض أن يدعموا نظام الجمهورية الإسلامية لأي سبب من الأسباب، لكنهم يريدون دعم بلادهم، هؤلاء أيضاً يجب أن يأتوا عند صناديق الاقتراع. الكل يجب أن يحضروا عند صناديق الاقتراع ليثبتوا تواجدهم ومشاركتهم. أي شخص يتمّ انتخابه – ونحن لا نعرف التقدير الإلهي – إذا كان يحظى بأصوات أكثر من الشعب سيستطيع الدفاع عن تلك الأصوات بصورة أفضل، وسيكون بوسعه الوقوف بوجه معارضي البلاد. لبلادنا أعداؤها ومعارضوها. على الصعيد الدولي ليس العدوّ الدولي العدو الذي يتراجع بالمجاملات واللين. ليست القضية في عالم السياسية أن نقول بمجاملات إننا سوف نُخجِل الجانب الآخر فيتراجع، كلا، كلما أبديتم من الضعف تقدّم هو

إلى الأمام، وكلما تراجعتم ازداد جرأة عليكم. هذا ما جرّبناه، وقد تراجعنا في بعض المواطن فازدادت جرأة العدو. قال هو شيئاً، فتصوّرنا أن في قبول كلامه مصلحة، فوجدنا أنه سحق كلامه بأقدامه وتقدّم خطوة إلى الأمام. هكذا هو العدو. مقابل العدو الدولي يجب اختيار الطريق بإرادة قوية وشعور بالعزة وثقة بهذا الشعب – يجب الثقة بهذا الشعب والاعتماد عليه، فشعبنا شعب شجاع رشيد – وتوكّل على الله العظيم، وحسن ظن بالوعود الإلهية، والتقدم إلى الأمام بنظرة صحيحة وعقلائية مدبّرة، وعندئذ سيبارك الله تعالى في مثل هذا العمل، وستشمل التوفيقات الإلهية الجميع .

إنني متفائل بفضل الله ولطفه وأن يمدّ الله تعالى يد العون في هذا الامتحان الذي نستقبله – امتحان يوم الجمعة المقبل، امتحان الانتخابات، وامتحان التواجد عند صناديق الاقتراع – ويخرج الشعب الإيراني إن شاء الله من هذه الانتخابات موفقاً منتصراً بحول الله وقوّته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

1 - تحف العقول، ص 237.

2 - مفاتيح الجنان، المناجاة الشعبانية.

3 - إقبال الأعمال، ج: 3، ص 399.

4 - نفس المصدر.

5 - الصحيفة السجادية، الدعاء رقم 48.

6 - إقبال الأعمال، ج: 3، ص 399.